مسائل الاعتقاد التي جاءت في النصوص مقيدة بقول: (مسيرة زمانٍ ما)

-دراسة عقدية-

دكتورة/ أمل بنت مبارك الغفيلي

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين والدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

المستخلص:

تناول هذا البحث الحديث عن المسافات التي وردت في نصوص السماء وحملة العرش والحوض والجنة والنار بتقديرها بمسيرة زمانٍ من الأزمنة، وجاء عنوانه: **(مسائل الاعتقاد التي جاءت في النصوص مقيدة بقول: (مسيرة زمانٍ ما) -دراسة عقدية-)** وتناولت الحديث عن المسافات التي تتعلق بالسماء في المسافة بين كل سماء وسماء، وسمك كل سماء، وسعة أبواب السماء، وعظمة خلقة حملة العرش، وسعة الحوض، ثم تناولت ما يتعلق بالجنة مما جاءت النصوص بذكرٍ مسافات لها في أبواب الجنة، وشجرها، ودرجاتها وريحها، ثم تناولت في المبحث الأخير الحديث عن النار وما يتعلق بالمسافات التي وردت في النصوص المرتبطة بقعر النار وحجم ضرس الكافر، وسمك جلده، ومسافة ما بين منكبيه. وجاءت أهم النتائج كما يلي:

١/ أن النصوص تفاوتت في ذكر المسافات في سعة خلق الله للسماوات والجنة والنار وغيرها من المخلوقات وهذا يدل على عظمة الله تعالى.

٢/ أن السماوات أجرام لها سمك وليست كما يظن البعض من الناس أنها سحاب كالهواء، بل سمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام كما ثبت هذا في الحديث.

٣/ علم العبد بعظمة خلْق حملة العرش وخلق الجنة والنار وأهلهما مما جاء في النصوص مقدرا بمسيرة زمان ما، يدل على عظمة هذه المخلوقات وأعظم من ذلك عظمة خالقها جل جلاله. وأن المؤمن متعبَد ربه برجاء طلب هذه الجنة العظيمة الخلق، ومتعّبد بالخوف من النار وما فيها من العذاب العظيم.

الكلمات المفتاحية: السماوات، الجنة، النار، مسيرة، عام.

Abstract:

This research dealt with the distances mentioned in the texts of the sky, the throne bearers, the basin, Paradise and Hell by estimating them as the distance of a certain time, which was entitled: (Matters of belief in which the texts are restricted by the words (the journey of a certain time) -Doctrinal Study. It dealt with the distances related to the sky in the distance between each sky and the other, the thickness of each sky, the size of the doors of the sky, the greatness of the creation of the throne bearers, and the size of the basin, then it dealt with the distances related to paradise in its gates, trees, degrees, and wind, then in the last section it dealt with the Hell and the distances mentioned in the texts related to the bottom of it, the size of the infidel's tooth, the thickness of his skin, and the distance between his shoulder blades. The main results are:

١/ The texts varied in mentioning the distances in the vastness of Allah's creation of the heavens, Paradise and hell and other creatures, which indicates the greatness of Allah the Almighty.

٢/ That the heavens are bodies that have a thickness and not as some people think that they are clouds like air, but the thickness of each sky is five hundred years, as proven in the hadith.

٣/ The servant's knowledge of the greatness of the creation of the throne bearers and the creation of Paradise and Hell and their inhabitants, which is mentioned in the texts as the distance of a certain time, indicates the greatness of these creatures and even greater than that is the greatness of their Creator, Glory be to Him. And that the believer is worshipping his Lord with the hope of seeking this great paradise, and with the fear of the hell and the great torment therein.

Keywords: Heaven, Paradise, Hell, journey , general.

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين. ثـم أما بعد:

الله -تعالى- العظيم الموصوف بالعظمة، فهو العظيم الذي خضع كل شـيء لأمـره، ودان لحكمه، والكل تحت سلطانه وقهره، ومن عظمته -تعالى- سعة خلقه للسماوات والأرض والجنة والنار وغيرها من المخلوقات الدالة على عظمة الله في ربوبيته وألوهيته وأسـمائه وصفاته، والتفكر في عظمة مخلوقات الله تورث العبد معرفة عظمـة الله وجلالـه، وقـد عزمت في هذا البحث الوقوف على شيء من هذه العظمة في الخلْـق بجمـع النـصوص المتعلقة بالسماوات وما فيها من العرش والحوض والجنة والنار للوقوف على سعة وعظمة خلقها مما جاء في النصوص مقيدا بقول:" مسيرة كذا وكذا من الزمان" وسميته:

(مسائل الاعتقاد التي جاءت في النصوص مقيدة بقول: (مسيرة زمـانٍ مـا) – دراسة عقدية–)

وقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم في العرب، وكانوا أمة أمية كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجُمُعَة: ٢]، وكانت أشهر مقاييسهم في تحديد المسافات هي تحديد ذلك بالمسافة التي تقطع في الوقت معين . فذلك الضبط بالنسبة لهـم كـان أظهـر وأوضح في بيان المقصود من أي تقدير آخر، لأنهم كانوا يكثرون السفر والتنقل، ويعرفون كم تقطع الإبل بهم في مسيرة اليوم والليلة الواحدة، فكثر ذلك في خطابهم .

فكان من حكمة النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعمل المقاييس المشهورة المعروفة عندهم، حتى يحصل المقصود من الكلام، ويفهم معناه، ولو تكلم الرسول صـلى الله عليـه وسـلم بالمقاييس غير المشهورة عندهم لكان هذا خلاف البيان والبلاغة، حيث يخاطب الناس بمـا لا يعرفون، أو بما لا يعرفه أكثرهم، من غير فائدة لذلك .

أخيرا أسأل الله أن يجعله علماً نافعا، وعملا صالحاً متقبلا، والحمد لله رب العالمين.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١/ إظهار عظمة الله -تعالى- في عظيم خلقه للمخلوقات.

٢/ ارتباط الموضوع بالسنة النبوية.

حدود البحث:

ستكون حدود البحث مقتصرة على مسائل الاعتقاد المتعلقة ببعد الـسماوات فيمـا بينهـا، وسمك كل سماء وأبوابها، وصفة خلْق حملة العرش، وسعة الحـوض، ودرجـات الجنـة وأبوابها وشجرها وريحها، وصفة منكب الكافر في النار وغلظ جلده ومقعده من النار. ولن أتناول غير هذا.

أهداف البحث:

١/ عرض مسائل الاعتقاد المتعلقة ببعد كل سماء عن التي تليها وسمك كل سماء، وسعة أبواب السماء، وسعة الحوض، وصفة حملة العرش مما جاء في النصوص تقدير مسافته بمسيرة زمانٍ ما.

٢/ جمع مسائل الاعتقاد المتعلقة بالجنة وما يرتبط بها من درجات الجنة وأبوابها وريحها وشجرها مما جاء في النصوص تقدير مسافته بمسيرة زمانٍ ما.

٣/ جمع مسائل الاعتقاد المتعلقة بالنار وما يرتبط بها من بُعد قعرها، وبُعد ما بين منكب الكافر وسمك جلده ومقعده من النار مما جاء في النصوص تقدير مسافته بمسيرة زمانٍ ما.

منهج البحث:

اعتمدت المنهج الاستقرائي الاستنباطي؛ وذلك بجمع واستقراء نصوص الكتاب والسنة فيما جاء تقدير مسافته بمسيرة كذا من الزمان ملتزمة بالحدود التذ ذكرتها في حدود البحث.

خطة البحث:

يتكوَّن هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة متبوعة بالفهارس.

المقدمة، وفيها: أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

التمهيد وفيه: التعريف بمعنى السماء وحملة العرش والحوض والجنة والنار في اللغة والشرع:

المبحث الأول: مسائل الاعتقاد المتعلقة بالسماء وحملة العرش والحوض مما جاء في النصوص تقدير مسافته بمسيرة زمانٍ ما:

المطلب الأول: بُعد السماوات وسمكها.

المطلب الثاني: أبواب السماء.

المطلب الثالث: خلْق حملة العرش.

المطلب الرابع: سعة الحوض.

المبحث الثاني: مسائل الاعتقاد مما في الجنة وجاء في النصوص تقدير مسافته بمسيرة زمانٍ ما:

المطلب الأول: درجات الجنة.

المطلب الثاني: أبواب الجنة.

المطلب الثالث: شجر الجنة.

المطلب الرابع: ريح الجنة.

المبحث الثالث: مسائل الاعتقاد المتعلقة بصفة قعر النار، وصفة خلق أهلها مما جاء في النصوص تقدير مسافته بمسيرة زمانٍ ما:

المطلب الأول: قعر النار.

المطلب الثاني: منكب الكافر وسمك جلده ومقعده في النار.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد وفيه: التعريف بمعنى السماء وحملة العرش والحوض والجنة والنار في اللغة والشرع:

أولًا: معنى السماء في اللغة والشرع:

السماء في اللغة:

يُقال لكلّ ما ارتفع وعَلا قَدْ سَما يَسْمُو وكلُّ سقف فهو سَماءٌ ومن هذا قيل للحسابِ السماءُ لأنها عاليةٌ والسماء: كلُّ ما عَلاكَ فأَضَلَّكَ ومنه قيل لسَقْفُ البيت سماءٌ، ويقال للسحاب: سماء لأنها عالية(١).

السماء في الشرع:

قال ابن تيمية: "ولفظ السماء في اللغة والقرآن اسم لكل ما علا فهو اسم جنس للعالي لا يتعين في شيء إلا بما يضاف إلى ذلك" (٢). وقد تعددت معاني السماء في القرآن الكريم فقد تطلق في القرآن ويراد بها العلو، أو السحاب، أو المطر، أو السبع الطباق وهو السقف المبني فوقنا وهو المراد في هذا البحث.

ثانيا: معنى حملة العرش:

العرش في اللغة:

عرش: العين الراء والشين أصل صحيح واحد يدل على ارتفاع في شيء مبني. والعَرْش: سرير الملِك يدلُّك على ذلك سرير ملِكة سَبَإٍ، والعرش في كلام العرب أيضاً يطلق على: سقْف البيت(٣).

العرش في الشرع:

العرش هو السرير وهو جسم ذو قوائم كما ثبت ذلك في الحديث، خلقه الله وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به، وهو سقف المخلوقات وأثقلها وأعظمها وأكبرها خِلقة(٤).

حملة العرش:

هم الملائكة الموكلون بحمل العرش، وهم أفضل الملائكة وأعلاهم منزلة عند الله(٥) – تعالى– قال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحَاقَّة: ١٧]

ثالثا: معنى الحوض:

الحوض في اللغة:

هو مجتمع الماء، والجمع حياض والأحواض من حاض الماء يحوضه حوضاً ذا جمعه وحاطه(٦).

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٧٩/١٣، لسان العرب لابن منظور ٣٩٨/١٤.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤٤٠/٥.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٢٦٤/٤، ولسان العرب ٣١٣/٦.

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر ٤٠٥/١٣، وعمدة القاري ١١١/٢٥.

(٥) ينظر: المفهم للقرطبي ٦٣٨/٥، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦/ ٥٥٠.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٥/ ١٠٣، والنهاية لابن الأثير ١/ ٤٦١، وتاج العروس للزبيدي ٣٠٨/١٨.

الحوض في الشرع:

هو حوض النبيﷺ الذي ترد عليه أمته يوم القيامة، فيجعله الله غِياثاً لهم، وإكراماً لنبيه محمد ﷺ(١).

رابعا: معنى الجنة في اللغة والشرع:

الجنة في اللغة:

الجَنة والجُنة: ما استترتَ به من سلاح، ولذا سُمي الترس مجنا لستره صاحبه، ولا تسمى جَنة حتى يجنها الشجر أي يسترها، فالجَنة من الاجْتنان وهو السَّتْر لتَكاثُفِ أَشجارِها وتظليلها بالتِفافِ أَغصانِها، والجَنة هي البستان والحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها جنان، والعرب تسمي النخيل جنة، وقيل: لا تكون الجَنَّة في كلام العرب إِلا وفيها نخلٌ وعنبٌ فإِن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجَنَّةٍ (٢).

والجنة في الشرع:

هي دارُ النعيم في الدار الآخرة التي أعدها الله لأوليائه المؤمنين، وفيها من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر(٣).

وقال ابن تيمية:" والتحقيق أن الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم وأعلى ما فيها النظر إلى وجه الله وهو من النعيم الذي ينالونه في الجنة "(٤).

خامسا: النار في اللغة والشرع:

النار في اللغة:

النون والواو والراء أصل صحيح يدل على إضاءة واضطراب وقلة ثبات منه النور والنار سميا بذلك من طريقة الإضاءة ولأن ذلك يكون مضطربا سريع الحركة، والنار مؤنثة وهي من الواو؛ لأن تصغيرها نويرة، وجمع النار أَنْوُرٌ ونيرانٌ ونِيْرَةٌ ونُورٌ. وتَنَوَّرَ النارَ: نظر إِليها أَو أَتاها، وتَنَوَّرْتُ النار من بعيد أَي تَبَصَّرْتُها(٥).

النار في الشرع:

هي الدار التي أعدّها الله للكافرين به المكذبين لرسله عليهم السلام، وللمتمردين على طاعته واتباع دينه، وترك معصيته، فيعذبهم ويُخزيهم فيها(٦).

---

(١) يُنظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ٢٧٧/١.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة لابن دريد ٩٣/١، ولسان العرب لابن منظور ١٠٠/١٣

(٣) ينظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ٦٥.

(٤) التحفة العراقية لابن تيمية ص ٦٦.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٣٦٨/٥، ومختار الصحاح للرازي ص ٣٢١.

(٦) ينظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢٥٣/٣.

المبحث الأول: مسائل الاعتقاد المتعلقة بالسماء وحملة العرش والحوض مما جاء في النصوص تقدير مسافته بمسيرة زمانٍ ما:

يعتقد أهل السنة أن الله تعالى خلق السماوات وجعلها سبعا طباقا كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطَّلَاق: ١٢] وجعل خلقها من أعظم الخلق في السعة فهي بناء خلقه الله وأوسع خلقه كما قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات: ٤٧]، وهذا البناء غاية في الضخامة والحجم، والقوة والتماسك قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣-٤]، ومع ضخامتها لا يمسكها أن تسقط على الأرض غير الله تعالى كما أخبر تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]، وقد خلقها الله طباقا بعضها فوق بعض، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ [نوح: ١٥].

وأصل خلق السماء الدخان، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، يقول البغوي عند هذه الآية: «وكان ذلك الدخان بخار الماء» (١).

ويقول ابن تيمية: «وقد أخبر الله تعالى أنه كان عرشه على الماء قبل أن يخلق السماوات والأرض، وأخبر أنه خلق السماوات من دخان وهو بخار الماء» (٢).

وهذا متواتر عن السلف رحمهم الله كما نقل ذلك ابن تيمية فقال: «والآثار متواترة عن الصحابة والتابعين بما يوافق القرآن والسنة، من أن الله خلق السماوات من بخار الماء الذي سماه الله دخانا» (٣).

وقد جعلها الله آية واضحة دالة على وجوده وعلى ربوبيته، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]، وإذا أراد الله انقضاء هذا الكون تنفطر وتتشقق، يقول الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ [الانفطار: ١]، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥].

فهذا الخلق العظيم من أعظم الأدلة الدالة على وجود الله، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

ولفظ "السماء" له معنيان: الأول: العلو، والثاني: الجرم المخلوق المعروف، الذي هو السقف المحفوظ، فإذا قال أهل السنة: "الله في السماء" فمعنى السماء هنا: العلو .

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٠٩.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٦/ ١٨٠.

(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/ ٣٦١.

قال ابن تيمية: "السلف، والأئمة، وسائر علماء السنَّة إذا قالوا: " إنه فوق العرش "، و"إنه في السماء فوق كل شيء": لا يقولون إن هناك شيئاً يحويه، أو يحصره، أو يكون محلاًّ له، أو ظرفاً، ووعاءً، سبحانه وتعالى عن ذلك، بل هو فوق كل شيء، وهو مستغنٍ عن كل شيءٍ، وكل شيءٍ مفتقرٌ إليه، وهو عالٍ على كل شيءٍ، وهو الحامل للعرش، ولحملة العرش، بقوته، وقدرته، وكل مخلوق مفتقرٌ إليه، وهو غنيٌّ عن العرش، وعن كل مخلوق .

وما جاء في الكتاب والسنة مثل قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] ونحو ذلك: قد يَفهم منه بعضُهم أن "السماء" هي نفس المخلوق العالي العرش فما دونه، فيقولون: قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ بمعنى: "على السماء"، كما قال: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، أي: على جذوع النخل، وكما قال: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، أي: على الأرض . ولا حاجة إلى هذا، بل " السماء " اسم جنس للعالي، لا يخص شيئاً، فقوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: في العلو دون السفل. وهو العلي الأعلى فله أعلى العلو، وهو ما فوق العرش، وليس هناك غيره، العلي الأعلى، سبحانه وتعالى"(١).

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بالبعد الذي بين السماء والأرض، وبين كل سماء وسماء، وسمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام كما سيأتي بيانه في المطلب الآتي.

المطلب الأول: بُعد السماوات وسمكها.

خلق الله السماوات ووسّع خلقها كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذَّارِيَات: ٤٧].

قال ابن عباس عند قوله: (لموسعون): " لقادرون وقيل: أي وإنا لذو سعة وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده"(٢) .

وقال ابن كثير عند تفسيره للآية:" وذلك أن كل ما علا اتسع فكل سماء أعلى من التي تحتها فهي أوسع منها؛ ولهذا كان الكرسي أعلى من السماوات، وهو أوسع منهن كلهن، والعرش أعظم من ذلك كله بكثير"(٣).

أولا: ما جاء في النصوص بأن ما بين السماء والسماء وسمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام:

أخبرنا رسول الله ﷺ بسعة هذه السماوات حتى بين لنا أن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، وهكذا إلى السماء السابعة، وفوق السماء السابعة ماء أعلاه إلى أسفله مسيرة خمسمائة عام،كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٦/١٠٠-١٠١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٥٢.
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١/١٦.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾ [هُود: ٧] فعن أبي هُرَيرَةَ – رضي الله عنه– قال: بَينَمَا نَحنُ عندَ رسول اللّه ﷺ إذ مرَّتْ سحَابَةٌ فقال:((أَتَدرُونَ ما هذه؟ قال: قُلنَا: الله ورَسُولُهُ أَعلَمُ قال: العَنَانُ ورَوَايَا الأَرض يسُوقُهُ الله إلى من لاَ يَشكُرُهُ من عباده ولاَ يَدعُونَهُ أَتَدرُونَ ما هذه فوْقَكُمْ؟ قُلْنا: الله ورَسُولُهُ أعْلَمُ قال: الرّقِيعُ موْجٌ مكْفُوفٌ وسَقْفٌ محْفُوظٌ أتَدْرُونَ كمْ بيْنَكُمْ وبَيْنَهَا؟ قُلْنا: الله ورَسُولُهُ أعْلَمُ قال: مسيرَةُ خمْسمائَة عامٍ قال: أتَدْرُونَ ما التي فوْقَهَا؟ قُلْنا: الله ورَسُولُهُ أعْلَمُ قال: سمَاءٌ أُخْرى أتَدْرُونَ كمْ بيْنَكُمْ وبَيْنَهَا؟ قُلْنا: الله ورَسُولُهُ أعْلَمُ قال: مسيرَةُ خمْسمائَة عامٍ حتى عدَّ سبْعَ سماوات ثمَّ قال: أَتَدْرُونَ ما فوْقَ ذلك؟ قُلْنا: الله ورَسُولُهُ أعْلَمُ قال: الْعرْشُ قال: أَتَدْرُونَ كمْ بيْنَكُمْ وبَيْنَ السّمَاءِ السّابِعَةِ؟ قُلْنا: الله ورَسُولُهُ أعْلَمُ قال: مسيرَةُ خمْسمائَة عامٍ)) [1].

وجاء الحديث من رواية العباس بن عبد المطلب –رضي الله عنه– قال: ((كنا جلُوساً مع رسول اللّه ﷺ بالبَطْحَاءِ فمَرَّتْ سحَابَةٌ فقال رسول اللّه ﷺ أَتَدرُونَ ما هذا؟ قال: قُلنَا السّحَابُ قال: وَالمُزْنُ؟ قُلنَا: وَالمُزْنُ قال: وَالعَنَانُ؟ قال: فَسَكَتنَا فقال: هل تَدرُونَ كمْ بين السّمَاءِ وَالأَرضِ؟ قال: قُلنَا الله ورَسُولُهُ أَعلَمُ قال: بَينَهُمَا مسيرَةُ خَمسمائَةِ سنَةٍ ومِنْ كل سمَاءٍ إلى سمَاءٍ مسيرَةُ خمْسمائَة سنَة، وكثف كل سمَاءٍ [2] خمْسمائَة سَنَة، وفَوْقَ السّمَاءِ السّابِعَة بحْرٌ بين أسْفَله وأَعْلاَهُ كما بين السّمَاءِ والأَرْضِ، ثمَّ فوْقَ ذلك ثمَانيَةُ أوْعَال [3] بين رُكبِهِنَّ وأَظْلاَفِهِنَّ كما بين السّمَاء والأَرْضِ ثمَّ فوْقَ ذلك الْعرْشُ بين أسْفَله وأَعْلاَهُ كما بين السّمَاءِ والأَرْضِ واللَّهُ تبَارَكَ وتَعَالَى فوْقَ ذلك ولَيْسَ يخْفَى علي من أعْمَالِ بنِي آدمَ شيء)) [4].

وهذه المسافات المذكورة في الأحاديث نقلها السلف رحمهم الله ومن ذلك:

ما جاء موقوفا على ابن مسعود رضى الله عنه قال: " ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام، والعرش على الماء والله تعالى فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه" [5].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ٢،٨٨١٤/٣٧٠بلفظه، وأخرجه الترمذي برقم: ٣٢٩٨، ٥/٤٠٣ وقال: هذا حديث غريب. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم: ٥٧٨، ١/٢٥٤، وابن خزيمة في كتاب التوحيد برقم: ١٤٩، ١/٢٤٢ من طريق ابن مسعود. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم: ٦٠٩٤.

(٢) الكَثافةُ: الغِلَظُ. وكثُف الشيء فهو كثيف وتكاثَف الشيء، والكثيف الثخين الغليظ. ينظر: لسان العرب لابن منظور ٩/٢٩٦.

(٣) أوعال: أي ملائكةٌ على صُورة الأوْعال، وهم تُيوسُ الجَبَل، واحِدُها وَعِلٌ بكسر العين. والظِّلْف: للبَقَر والغَنَم كالحافِر للفَرس والبَغْل والخُفِّ للبَعِير. ينظر: النهاية لابن الأثير ٣/٣٥٥.

(٤) رواه أحمد في مسنده ٣/ ٢٩٢ برقم: (١٧٧٠)، وأبو داود في سننه (كتاب السنة/ باب في الجهمية) ٥١٤-٥١٥ برقم: (٤٧٢٣)، والترمذي في سننه (كتاب تفسير القرآن/ باب من سورة الحاقة) ٥٢٦ برقم: (٣٣٢٠) وقال: هذا حديث حسن غريب، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٨٨- ٤١٢-٥٠٠-٥٠١ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال في موضع آخر: هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. والحديث ضعيف؛ إذ مداره على عبد الله بن عميرة، قال عنه البخاري في تاريخه: عبد الله بن عميرة لا يعرف له سماع من الأحنف. وقال الذهبي: فيه جهالة، وضعفه الألباني في الضعيفة ٣/ ٣٩٨ برقم: (١٢٤٧)، إلا أن أهل العلم صححوا هذا الحديث واحتجوا به على الجهمية، وصححه ابن خزيمة في كتاب التوحيد فقد أخرجه من طريق أخرى غير طريق عبد الله بن عميرة، قال: حدثنا أحمد بن نصر، قال: أخبرنا الدشتكي عبد الرحمن بن عبد الله الرازي، قال: ثنا عمرو بن أبي قيس عن سماك بإسناده ١/ ٢٣٤ برقم: (١٤٤) وصحح الخبر واستشهد به ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣/ ١٩١-١٩٢، وقال ابن القيم في مختصر الصواعق ٢/٢٠٧: رواه أبو داود بإسناد جيدا، وقال ابن العربي في عارضة الأحوذي١٢/٢١٧: حسن صحيح. وجاء ذكر المسافة بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام في حديث موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه وقد صححه الذهبي في كتابه العلو وسيأتي تخريج الحديث، فالموقوف يعضد المرفوع.

(٥) الرد على الجهمية للدارمي ص٥٥.

وقال قتادة في قوله: ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ ﴾ [البَقَـرَةِ: ٢٩] قال:" بعضهن فوق بعض بين كل سَمائين مسيرة خمسمائة عام"(١).

وقال حرب الكرماني: " وخلق الله سبع سماوات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام"(٢)

ثانيا/ ما جاء في النصوص بأن ما بين السماء والسماء وسمك كل سماء مسيرة نيّف وسبعين سنة:

ثبت في بعض النصوص بأن بعد ما بين السماء والسماء وسمك كل سماء نيّف وسبعين كما عند ابن ماجه وفيه قال رسول الله ﷺ: ((...أتدرون ما بعد ما بين السماء والأرض قالوا: لا ندري قال: إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتين أو ثلاث وسبعين سنة، ثم السماء فوق ذلك حتى عد سبع سماوات...))(٣).

الجمع بين الروايتين:

لا تعارض بين الروايتين في ذكر المسافات فقد قال ابن حجر معلقا على اختلاف المسافتين من خمسمائة سنة ونيف وسبعين سنة:" والجمع بين اختلاف هذا العدد في هاتين الروايتين ان تحمل الخمسمائة على السير البطيء كسير الماشي على هيئته وتُحمل السبعين على السير السريع"(٤).

وجاء الحديث من رواية ابن مسعود –رضي الله عنه– موقوفا عليه، قال: ((ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله تعالى فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه)) (٥).

وقول ابن مسعود –رضي الله عنه– هذا لا يقال بالرأي فله حكم الرفع؛ لأن ابن مسعود –رضي الله عنه– لم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات (٦). وقال الذهبي: له طرق يقوي بعضها بعضا (٧). ويعضده حديث العباس بن عبد المطلب –رضي الله عنه– فالحديثان يعضد أحدهما الآخر.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٧٥/١

(٢) كتاب السنة من مسائل حرب الكرماني ص٥٣.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السنة/ باب في الجهمية) برقم: ٤٧٢٣، ٢٣١/٤، وأخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ / باب ومن سورة الحاقة) برقم: ٣٣٢٠،٥/٤٢٤، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه ابن ماجه باب: فيما أنكرت الجهمية، برقم:١٩٣، ٦٩/١.

(٤) فتح الباري لابن حجر ٤١٣/١٣.

(٥) أخرجه الدارمي في نقضه على المريسي ٤٧١/١، أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد برقم:٦، ٢٤٣/١، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم: ٨٩٨٧، ٢٠٢/٩، وأخرجه ابن بطة في الإبانة ١٧٢/٣، جميعهم موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٦/١: رواه الطبراني في الكبير، رجاله رجال الصحيح، وقال الذهبي في العلو ٦١٦/١: رواه عبد الله في السنة، وأبو بكر بن المنذر وأبو أحمد العسال...، وأبو عمر الطلمنكي في تواليفهم وإسناده صحيح، وصحح إسناده الألباني في "مختصر العلو" ص ١٠٣.

(٦) ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ٢٧٩/٣.

(٧) ينظر: العلو للذهبي ص ٦٤، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص ١٠٠.

ورواية العباس –رضي الله عنه– جاءت بلفظ سنة، وجاءت في رواية ابن مسعود –رضي الله عنه– بلفظ عام ولا تعارض فإن العام والسنة والحول كلها ألفاظ مترادفة من حيث الأصل. وقيل في الفرق بين السنة والعام: أن السنة من يومك إلى نظيره من السنة القادمة، والعام لا يكون إلا صيفا وشتاء(١).

وإذا جاءت الروايات بذكر مسيرة كذا من الزمان فإن هذه المسافة تقدّر بسير الإبل المحملة في عهد النبي ﷺ وليس بحسب كل زمان ومكان، فالمسافات المذكورة في الكتاب والسنة تحمل على عادة المسافرين في ذلك الوقت.

قال ابن القيم:" قالوا وأما اختلاف مقدار المسافة في حديثي العباس وأبي هريرة فهو مما يشهد بتصديق كل منهما للآخر فإن المسافة يختلف تقديرها بحسب اختلاف السير الواقع فيها فسير البريد مثلا يقطع بقدر سير ركاب الإبل سبع مرات وهذا معلوم بالواقع فما تسيره الإبل سيرا قاصدا في عشرين يوما يقطعه البريد في ثلاثة فحيث قدر النبي ﷺ بالسبعين أراد به السير السريع سير البريد وحيث قدر بالخمسمائة أراد به السير الذي يعرفونه سير الإبل والركاب فكل منهما يصدق الآخر ويشهد بصحته ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا"(٢)

فالسير يختلف فالخمسمائة عام بالنظر إلى سير الأحمال وسير الأقدام، والسير العادي، والثلاث وسبعون سنة بالنظر إلى السير الخفيف القوي، فإن مقداره يكون بمقدار السدس بالنسبة إلى سير الأحمال المثقلة ونحو ذلك، وعلى كل تقدير فهذا يبين عظمة الله وعلوه، وارتفاع هذه المخلوقات، وسعة ما بينها من المسافات العظيمة فسبحان الخلاق جل جلاله(٣).

والحديث دال على عظمة الله، وعلوه وعلمه –تعالى– وعظمة خلق السماوات وسعة خلقها وارتفاعها وتباعد أقطارها، فبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة عام. وبين السماء السابعة والعرش بحر أعلاه إلى أسفله مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله لا يخفى عليه شيء من خلقه.

المطلب الثاني: أبواب السماء:

خلق الله السماوات وجعلها سقفا محفوظا، فهي ليست فراغا، بل بنيان محكم يتعذر الدخول إليه أو الخروج منه إلا عن طريق أبواب، قال تعالى: ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ [النَّبَإ: ١٩]، وهي كما يعتقد أهل السنة أبواب حقيقية كما ثبت ذلك في حديث المعراج وفيه:((... ثم عُرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، فَفُتح لنا...))(٤).

---

(١) ينظر: تاج العروس للزبيدي ١٥٦/٣٣.

(٢) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ٧/١٣–٨.

(٣) ينظر: الجامع الفريد في شرح كتاب التوحيد لمجموعة من العلماء ٩٦٦/٢.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فضائل الصحابة/باب المعراج) برقم:٣٦٧٤، ١٤١٠/٣،وأخرجه مسلم (كتاب الإيمان/باب الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات)برقم:١٦٨، ١/ ١٥٤

قال النووي: "قال القاضي عياض: وفي هذا أن للسماء أبواباً حقيقية وحفظة موكلين بها"(١).

وأبواب السماء عددها لا يعلمه إلا الله-تعالى- وقد أخبرنا ربنا أنها ستفتح جميعها يوم القيامة كما قال -تعالى-: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ [النَّبَإِ: ١٨ - ١٩]، وأبواب السماء قد يفتح بعضها أو يغلق في أي لحظة كما قال رسول الله ﷺ:((...هذا باب من السماء فُتح اليوم، لم يُفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك...))(٢). كما أن أبواب السماء تفتح في أوقات محددة ثم تغلق، كما أن بعضها تُفتح لأرواح وأعمال صالحة، وتُغلق في وجه أعمال وأرواح معينة، إلا أن هناك بابا واحدا تُرك مفتوحا لم يُغلق قط ولن يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها كما سيأتي ذكره.

وأبواب السماء ضخمة جدا لا يحيط بها العقل البشري، جاء في وصف واحد من هذه الأبواب وهو باب التوبة وفيه يقول رسول الله ﷺ: ((...إن الله جعل بالمغرب بابا مسيرة عرضه سبعون عاماً للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله...))(٣) وجاء عند الترمذي أنهﷺ قال: ((إن من قِبَلِ الْمغْرِبِ لبَاباً مسيرَةُ عرْضه سبْعُونَ أو أرْبَعُونَ عاماً، فتَحَهُ الله عز وجل لِلتّوْبَةِ يوم خَلَقَ السماوات والأَرْضَ ولاَ يغْلَقُهُ حتى تطْلُعَ الشّمْسُ منه))(٤).

قال صاحب تحفة الأحوذي:" كلمة (أو) للشك من الراوي في قوله:(أربعين أو سبعين عاما) وفي الرواية الآتية -من الترمذي- سبعين عاما من غير شك"(٥).

وهذا الحديث يدل على أن هذا الباب سعته عظيمة، ويدل أن باب التوبة يغلق إذا طلعت الشمس من مغربها فحينها لا تنفع التوبة.

وجاء في فتح الباري:" إذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب بما فيها، وترتفع الحفظة وتؤمر الملائكة أن لا يكتبوا عملا"(٦)

المطلب الثالث: خلْق حملة العرش.

الله -سبحانه- هو الذي أقام العرش والسماوات والأرض وأمسك الجميع بقدرته العظيمة، وليس هو -سبحانه- في حاجة إلى حملة العرش ولا غيرهم، ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحَج: ٦٥]، ويعتقد أهل السنة أن العرش

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢١٢/٢.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب فضْلِ الْفَاتحَةِ وَخَوَاتيمِ سُورةِ الْبقَرَةِ والْحَثِّ على قرَاءَةِ الْآيتَيْنِ من آخرِ الْبقَرَةِ) برقم: ٨٠٦، ١/ ٥٥٤.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة/ باب قوله تعالى:" يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل") برقم: ١١١٧٨، ٣٤٤/٦، وأخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن/ باب طلوع الشمس من مغربها) برقم: ٤٠٧٠، ١٣٥٣/٢، وأخرجه أحمد في مسنده برقم: ١٨١٢٥، ٢٤١/٤. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: ٣١٣٧.

(٤) وأخرجه الترمذي (كتاب الدعوات/ باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده) برقم: ٣٥٣٥، ٥٤٥/٥، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد في مسنده برقم: ١٨١٢٠، ٢٤٠/٤، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٧٠٧٦، ٤٠٠/٥،

(٥) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٣٦٤/٩.

(٦) فتح الباري لابن حجر ٣٥٥/١١.

أعظم المخلوقات وأكبرها وأثقلها وأنه سقف المخلوقات، قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المُؤْمِنُون: ١١٦] وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ۝٢٦ ﴾ [النَّمل: ٢٦ - ٣٦] وقال ﷺ: ((لقد قلت بَعدك أَربَعَ كَلمَات ثلَاثَ مرَّاتٍ لو وزنَتْ بمَا قلْتِ منْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهنَّ سبْحَانَ اللّه وَبحَمْده عدَدَ خَلْقه ورضَا نَفْسه وَزنَةَ عَرْشه وَمدَادَ كَلمَاته))[1]، وهو سرير له قوائم كما ثبت ذلك في الحديث أن النبي ﷺ قال: ((الناس يصْعَقُونَ يوم الْقيَامَة فأَكُونُ أوّلَ من يُفيقُ فإذا أنا بمُوسَى آخذٌ بقَائمَةٍ من قَوَائمِ الْعرْشِ فلا أَدْري أَفَاقَ قَبْلي أَمْ جُوزيَ بصَعْقَة الطّور))[2]. والعرش فوق الجنة، والجنة فوق السماوات، وهو كالقبة على العالم فهو سقف المخلوقات[3].

قال ابن كثير عند حديثه عن العرش: " فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات"[4].

وللعرش حملة معدودون في أفضل الملائكة وأعلاهم منزلة وقدرا، وهم المقربون من الله ففي الحديث أن النبي ﷺ قال:((... ولَكنْ ربُّنَا –تبَارَكَ وتَعَالَى– اسْمهُ إذا قضَى أَمْرًا سبَّحَ حمَلَةُ الْعرْشِ ثمَّ سبَّحَ أَهْلُ السّمَاء الّذينَ يلُونَهُمْ حتى يبْلُغَ التّسْبيحُ أَهْلَ هذه السّمَاء الدُّنْيا ثمَّ قال الّذينَ يلُونَ حمَلَةَ الْعرْشِ لحمَلَة الْعرْشِ ماذَا قال ربُّكُمْ؟ فيُخْبرُونَهُمْ ماذَا قال: قال: فيَسْتَخْبرُ بعْضُ أهْلِ السّمَاوَاتِ بعْضًا حتى يبْلُغَ الْخبَرُ هذه السّمَاءَ الدُّنْيا...))[5].

قال حرب الكرماني:" الله تعالى على العرش فوق السماء السابعة العليا، وهو بائن من خلقه، لا يخلو من علمه مكان. ولله عرش، وللعرش حملة يحملونه"[6]

يقول أبو العباس القرطبي: " فيه ما يدُلُّ على أنَّ حَمَلَةَ العَرشِ أفضَلُ المَلائكَةِ وأعلاهم مَنزِلةً، وأنَّ فضائلَ المَلائكةِ على حَسَبِ مراتِبِهم في السَّمَوات، وأنَّ الكُلَّ منهم لا يَعلَمونَ شَيئًا من الأمورِ إلَّا بأن يُعلِمَهم اللهُ تعالى به، كما قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧﴾ [الجِن: ٢٦ - ٢٧] وفيه ما يدُلُّ على أنَّ عُلومَ المَلائكةِ بالكائناتِ يستفيدُه بعضُهم من بعضٍ إلَّا حَمَلَةَ العَرشِ؛ فإنَّهم يستفيدون عُلومَهم من الحَقِّ سُبحانَه وتعالى، فإنهم هم المبدوؤون بالإعلامِ أوَّلًا، ثم إنَّ مَلائِكةَ كُلِّ سماءٍ تستفيدُ من التي فوقَه"[7].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب التسبيح أول النهار وعند النوم) برقم: ٢٧٢٦، ٢٠٩٠/٤.
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأنبياء/ باب قوله تعالى:" وواعدنا موسى ثلاثين ليلة...") برقم:٣٢١٧، ١٢٤٥/٣.
(٣) ينظر: سبل الهدى والرشاد للصالحي ١٧٣/٣.
(٤) البداية ولنهاية لابن كثير ١٢/١.
(٥) أخرجه مسلم برقم:٢٢٢٩، ١٧٥٠/٤،
(٦) كتاب السنة من مسائل حرب الكرماني ص ٥٤.
(٧) المفهم في شرح مسلم للقرطبي ٦٣٨/٥.

وقال رسول الله ﷺ واصفا واحدا من حملة العرش: ((أُذِنَ لي أنْ أُحَدّثَ عن ملَكٍ من مَلَائكَةِ اللّهِ من حملَةِ الْعرْشِ إنَّ ما بين شحْمَةِ أُذُنِه إلى عَاتقِهِ مَسيرَةُ سبعمائة عامٍ))(١) وجاء في رواية عند الطبراني بلفظ" سبعين عاما"(٢) .

وفي الجمع بين الروايات يقول الطيبي:" والمراد بالسبعمائة عام هنا التكثير لا التحديد؛ لأنه أليق بالكلام وأدعى للمقام وقال أذن لي: ليفيد أن علم الغيب مختص به -تعالى- لكنه يطلع منه من شاء على ما شاء، وليس على من أطلعه أن يحدث إلا بإذنه. وشحمة الأذن ما لان من أسفلها وهو معلق القرط والعاتق ما بين المنكب والعنق وهو موضع الرداء يذكر ويؤنث"(٣)

والحديث يحتمل أن النبيﷺ رآه ويحتمل أنه أُوحي إليه به (٤).

المطلب الرابع: سعة الحوض.

امتن الله على نبيه محمدا ﷺ بأن أعطاه نهر الكوثر كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكَوۡثَر: ١] وقيل إن الكوثر حوض عظيم لنبينا ﷺ يوضع له في أرض المحشر في موقف القيامة ترد عليه أمته ﷺ، ويأتيه ماؤه من نهر الكوثر الذي في الجنة ولذا يسمى بحوض الكوثر ويدل على ذلك ما جاء في قوله ﷺ:((...يشْخَبُ فيه ميزَابَانِ من الْجنَّةِ من شَربَ منه لم يظْمَأْ...))(٥).

وهذا الحوض جاءت الأحاديث بوصفه بأنه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأن طوله مسافة شهر، وأن عرضه مسافة شهر، وأوانيه التي يشرب به عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً حتى يدخل الجنة، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الواردين عليه.

قال حرب الكرماني:" وحوض محمدﷺ حق، حوضٌ ترد عليه أمته، وله آنية يشربون بها منه"(٦)

وهو موجود الآن وإن كنا لا نراه كما نص على ذلك النبيﷺ: ((خرج ذات يوم فصلي على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم والله إني لأنظر إلى حوضي الآن...))(٧).

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنة /باب في الجهمية) برقم: ٤٧٢٧، ٢٣٢/٤، والطبراني في المعجم الأوسط برقم: ٤٤٢١، ٣٥٦/٤، بلفظ" سبعين"، والبيهقي في الأسماء والصفات ٣٨٨/٢، والذهبي في العلو برقم: ٢٣٤، ص٩٧ وقال عنه: إسناده صحيح، وقال ابن حجر في فتح الباري ٦٦٥/٨: إسناده على شرط الصحيح. وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم:٤٧٢٧.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم:٤٤٢١،٤/٣٥٦.

(٣) فيض القدير للمناوي ٤٥٨/١.

(٤) ينظر: فيض القدير للمناوي ٤٥٨/١.

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل/ باب إثبات حوض نبيناﷺ وصفاته) برقم: ٢٣٠٠، ١٧٩٨/٤.

(٦) كتاب السنة من مسائل حرب الكرماني ص ٥١.

(٧) أخرجه البخاري (كتاب المغازي/ باب أحد يحبنا ونحبه...) برقم: ٣٨٥٧، ١٤٩٨/٤، وأخرجه مسلم (كتاب الفضائل/ باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته) برقم: ٢٢٩٦، ٤/ ١٧٩٥.

وقد جاءت الأحاديث بذكر طول الحوض وعرضه بروايات مختلفة والذي نقصده في هذا البحث ما جاء في الروايات بذكر مسيرة زمن من الأزمنة كما يلي:

١/ ما جاء في أن طوله وعرضه مسيرة شهر:

وثبت في هذا حديثٌ عنه ﷺ أنه قال: ((حَوضِي مسيرَةُ شَهرٍ ماؤُهُ أَبيَضُ من اللّبَنِ وريحُهُ أَطيَبُ من المِسْكِ وكِيزَانُهُ كنُجُومِ السّمَاءِ من شرِبَ منها فلا يَظمَأُ أبَدًا)) (١).

٢/ ما جاء في أن طوله وعرضه كما بين عدن وعمّان، وأيلة إلى مكة، وبين المدينة وصنعاء، وأيلة إلى الجحفة، وبين جربا وأدرج بروايات مختلفة:

وكل هذه المسافات ثبتت في السُنة فقد جاءت رواية عند أحمد في بيان مقداره:((كما بين عدن وعمّان))(٢) وفي رواية أخرى:((كما بين أيلة إلى مكة))(٣).

قال القاري:" أيلة: مدينة كانت عامرة وهي بطرف بحر القلزم من طرف الشام، وهي الآن خراب يمر بها الحاج من مصر وغزة وإليها تنسب العقبة المشهورة عند أهل مصر، بينها وبين المدينة النبوية نحو شهر بسير الأثقال كل يوم مرحلة"(٤).

وفي رواية أخرى: ((مثل ما بين المدينة وصنعاء)) (٥) وجاءت رواية: ((وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة))(٦) ورواية عن ابن عمر: ((ما بين ناحيتيه كما بين جربا(٧) وأدرح(٨)))(٩) .

الجمع بين الروايات:

وهذا الاختلاف في هذه الروايات في قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب؛ لأنها المسافات متقاربة وكلها ترجع إلى نحو نصف شهر أو تزيد على ذلك قليلا أو تنقص. وأقل ما ورد في ذلك ما وقع في مسلم عن ابن عمر: "أنه كما بين جربا وأذرح " وهما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام، وقد جمع العلماء بين هذا الاختلاف بأنه ليس هناك اضطراب في الروايات فكلها تفيد أنه كبير متسع متباعد الجوانب، ولعل ذكره عليه الصلاة والسلام للجهات المختلفة بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهة فيخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها (١٠).

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق/ باب في الحوض...) برقم: ٦٢٠٨، ٢٤٠٥/٥، وأخرجه مسلم (كتاب الفضائل / باب إثبات حوض نبيناﷺ وصفاته) برقم: ٢٢٩٢،٤/١٧٩٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ٦١٦٢، ١٣٢/٢، وأخرجه الطبراني في العجم الكبير برقم: ٧٥٤٦، ١١٩/٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ٦٨٧٢، ١٩٩/٢، وابن أبي عاصم في السنة برقم:٧١٨، ٣٣٢/٢.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٣٨/٢٣.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق/ باب في الحوض...) برقم: ٦٢١٩، ٢٤٠٨/٥.

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل/ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته) برقم: ٢٢٩٦، ١٧٩٦/٤.

(٧) كان أهل جربا يهودا كتب لهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان لما قدم عليه لحية بن رؤبة صاحب أيلة بقوم منهم ومن أهل أذرح يطلبون الأمان. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٥٨/١٥.

(٨) مدينة في طرف الشام، بينها وبين تبوك أربع مراحل. ينظر: شرح النووي على مسلم ٥٨/١٥.

(٩) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق/ باب في الحوض...) برقم: ٦٢٠٦، ٢٤٠٥/٥.

(١٠) ينظر: فتح الباري لابن حجر ٤٧١/١١.

وعلى هذا:" فليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالأكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة وحاصله أنه يشير إلى أنه أخبر أولا بالمسافة اليسيرة، ثم أعلم بالمسافة الطويلة فأخبره بها، كأن الله تفضل عليه باتساعه شيئا بعد شيء فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة"(١).

المبحث الثاني: مسائل الاعتقاد مما في الجنة وجاء في النصوص تقدير مسافته بمسيرة زمانٍ ما:

يعتقد أهل السنة أن الجنة خلق من مخلوقات الله وهي موجودة الآن فوق السماء السابعة، وهي درجات وأعلاها الفردوس وسقفها عرش الرحمن، ولها ثمانية أبواب، وهي لا تفنى ولا تبيد كما قال حرب:" وقد خُلقت الجنة وما فيها، وخُلقت النار وما فيها، خلقهما الله ثم خلق الخلق لهما، لا تفنيان، ولا يفنى ما فيهما أبدا"(٢).

وقال الطحاوي:" والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان وإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلا فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه وكل يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما خلق له"(٣)

وقال البربهاري:" والإيمان بأن الجنة حق والنار حق وأنهما مخلوقتان الجنة في السماء السابعة وسقفها العرش والنار تحت الأرض السابعة السفلى وهما مخلوقتان قد علم الله تعالى عدد أهل الجنة ومن يدخلها وعدد أهل النار ومن يدخلها لا تفنيان أبدا بقاؤهما مع بقاء الله أبد الآبدين"(٤).

المطلب الأول: درجات الجنة:

مما يعتقده أهل السنة أن الجنة درجات، وأن الله قد وعد الطائعين بمنازل في الجنة إن هم قاموا بما حثَّهم عليه من تلك الطاعات، وما ذلك التفاضل بين أهل الجنة في المنازل والدرجات إلا بسبب تفاضلهم في أعمال الطاعات في الدنيا قال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإِسْرَاء: ٢١] وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ [الأَنْعَام: ١٣٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والجنَّة درجات، متفاضلة تفاضلاً عظيماً، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات: بحسب إيمانهم، وتقواهم"(٥).

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٤٧٢/١١. وينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٣٠٣٠/٧.

(٢) كتاب السنة من مسائل حرب الكرماني ص٥٣.

(٣) متن الطحاوية ص٥١.

(٤) شرح كتاب السنة للبربهاري ص ٢٦.

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٨٨/١١.

وفي الجنة غرف مختلفة وهذه الغرف مختلفة في العلو، والصفة، بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال، فبعضها أعلى من بعض، وأرفع، ومن عظيم عدل الله تعالى ألا يساوي بين المستحقين للجنة في الدرجة والنعيم؛ فالتفاضل بين الناس في الدنيا في الإيمان والطاعات يؤدي إلى التفاضل في المنازل والدرجات عنده سبحانه وتعالى، وقد دلت النصوص على أن الجنة درجات عظيمة، وبين الدرجة والدرجة مسافات متباعدة. وقد تفوتت النصوص في المسافة بين الدرجة والدرجة الأخرى في الجنة كما يأتي:

١/ ما جاء في أن بين الدرجة والدرجة في الجنة مسيرة مائة عام:

فقد قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ في الْجنَّة مِائَةَ درَجَة أَعَدَّهَا الله لِلْمُجاهدِينَ فِي سبِيلِه كُلُّ درَجَتَيْنِ ما بيْنَهُمَا كما بين السَّمَاءِ والْأَرْضِ فإذا سأَلْتُمُ اللَّهَ فسَلُوهُ الْفِرْدوْسَ فإنه أَوْسَطُ الْجنَّةِ وأَعْلَى الْجنَّةِ وفَوْقَهُ عرْشُ الرحمن ومِنْهُ تفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجنَّةِ))(١)

قال ابن خزيمة: " وأمليت أخبار النبيﷺ بين كل درجتين من درج الجنة مسيرة مائة عام"(٢).

٢/ ما جاء في مفهوم بعض الأحاديث ما يدل على أن درجات الجنة بعدد آي القرآن:

جاءت أحاديث تدل على أن عدد درج الجنة بعدد آي القرآن لقوله ﷺ:))يقَالُ لِصاحِبِ الْقرْآنِ اقْرأْ وارْتَقِ ورَتِّلْ كما كنْتَ تُرتِّلُ في الدُّنْيا فإن منْزِلَتَكَ عنْدَ آخرِ آيةٍ تَقرَأُ))(٣).

وهذه الرواية صريحة بأن درج الجنة أكثر من مائة درجة(٤).

يقول ابن حجر:" وعدد أي القرآن أكثر من ستة آلاف ومائتين والخُلف فيما زاد على ذلك من الكسور"(٥).

الجمع بين الروايات:

اختلفت الأحاديث في قدر ما بين الدرجتين من الجنة فحديث فيه: " كما بين السماء والأرض" وحديث فيه " مسيرة مائة عام" والجمع بين هذه الأحاديث كما قال ابن حجر:" وقوله فيه:" كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض" اختلف الخبر الوارد في قدر مسافة ما بين السماء والأرض، وذكر هناك ما ورد في الترمذي أنها مائة عام، وفي الطبراني خمسمائة، ويزاد هنا ما أخرجه ابن خزيمة في التوحيد من صحيحه وابن أبي عاصم في كتاب السنة عن ابن مسعود قال:" بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد/ باب " وكان عرشه على الماء") برقم: ٦٩٨٧، ٦/٢٧٠٠.

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢/٨٧٥.

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب فضائل القرآن/ باب ما جاء فيمَنْ قرَأَ حرْفًا من القُرْآنِ ما له من الْأجْر) برقم: ٢٩١٤، ٥/١٧٧، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود (كتاب الصلاة/ باب استحباب الترتيل في القراءة) برقم: ١٤٦٤، ٢/٧٣، وأخرجه ابن ماجه (كتاب الأدب/ باب ثواب القرآن) برقم: ٣٧٨٠، ٢/١٢٤٢.

(٤) ينظر: حادي الأرواح لابن القيم ص ٥٥.

(٥) فتح الباري لابن حجر ١٣/٤١٣.

وبين كل سماء خمسمائة عام وفي رواية وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام..."... والجمع بين اختلاف هذا العدد في هاتين الروايتين:

أولا: أن تحمل الخمسمائة على السير البطيء كسير الماشي على هينته وتحمل السبعين على السير السريع كسير السعاة ولولا التحديد بالزيادة على السبعين لحملنا السبعين على المبالغة فلا تنافي الخمسمائة"(١)

ثانيا: ما جاء في أن عدد درج الجنة بعدد آي القرآن، لا يتعارض مع ما جاء في أنها مائة درجة.

يقول ابن حجر:" وأما قوله:" مائة درجة" فليس في سياقه التصريح بأن العدد المذكور هو جميع درج الجنة من غير زيادة، إذ ليس فيه ما ينفيها، ويؤيد ذلك أن في حديث أبي سعيد المرفوع الذي أخرجه أبو داود وصححه الترمذي وابن حبان "ويقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرأها" وعدد أي القرآن أكثر من ستة آلاف ومائتين والخُلف فيما زاد على ذلك من الكسور"(٢).

ثالثا: أن الاختلاف في النصوص فيما بين درجات الجنة، أن الجنة درجات متفاضلة، وأولياء الله المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم لله، كما قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾ [الأَنْعَام: ١٣٢]، وقد جاءت النصوص بذكر بعض الأعمال التي تكون سببا في رفعة الدرجات في الجنة ينبغي للمسلم معرفتها والعناية بها.

المطلب الثاني: أبواب الجنة:

وردت نصوص كثيرة تتحدث عن أبواب الجنة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزُّمَر: ٧٣] وقال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: ٥٠] وأبواب الجنة أبواب حقيقية يدخل أهل الجنة من خلالها إلى الجنة، وقد جاءت النصوص بأن عدد أبواب الجنة ثمانية كما قال رسول الله:((...فِي الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ، لاَ يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ))(٣).

وهذه الأبوابُ كانَت ثَمانيةً بحَسَب الأعمال؛ لِأنَّ كُلَّ بابٍ لَه عُمَّالٌ؛ فأهلُ الصَّلاةِ يُنادَونَ من باب الصَّلاة، وأهلُ الصَّدَقة من بابِ الصَّدَقة، وأهلُ الجِهاد من بابِ الجِهاد، وأهلُ الصِّيامِ من بابِ الرَّيَّانِ. وقَد يُوفِّقُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بَعضَ النَّاسِ لِأعمالٍ صالِحةٍ شامِلةٍ؛ فيُدعى مِن جَميعِ الأبواب منهم أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– كما ثبت ذَلك في النصوص (٤).

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٤١٤/١٣.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٤١٣/١٣.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق/ باب صفة أبواب الجنة...) برقم: ٣٠٨٤، ١١٨٨/٣.

(٤) ينظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١٦٦/٢.

وتنوعت النصوص في سعة أبواب الجنة فقد جاء في الحديث عن سعة أبواب الجنة:

١/ ما جاء أن ما بين المصراعين كما بين مكة وهجر[(١)] وجاء كما بين مكة وبصرى وجاء كما بين مكة وحمير:

جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺقال: ((... وَالَّذِي نَفسُ محَمَّد بيده إنَّ ما بين الْمِصْرَاعَيْنِ من مَصَارِيعِ الجَنَّةِ لكَمَا بين مكَّةَ وهَجَرٍ أو كما بين مكَّةَ وَبصْرَى))[(٢)] وجاء في رواية كما بين مكة وحمير فقال ﷺ: ((والَّذي نَفسي بيده إنَّ ما بين المِصْرَاعَيْنِ من مصَارِيعِ الْجنَّةِ كما بين مكَّةَ وحِمْيَرَ أو كما بين مكَّةَ وبُصْرَى[(٣)]))[(٤)].

وهذه المسافات متقاربة في بعدها عن مكة، قال ابن هبيرة:" وتلك المواضع كلها متقاربة في البعد، فهذا مما يدل على عظم سعة ما بين المصراعين من مصاريع الجنة"[(٥)].

ثم إن هذه الأماكن كان بعدها متصورا لكثير من الصحابة في ذلك الزمن، فغاية أسفارهم في التجارة – وخاصة أهل مكة – إلى الجنوب إلى بلاد حمير وهي اليمن، وبصرى كانت مقصدا لتجارتهم في جهة الشام، وهجر تجارتهم إلى البحرين في المشرق.

قال القُرطُبيُّ: "أمَّا ما جاءَ من سَعَةِ أبواب الجَنَّة فيُحتَمَلُ أن يَكُونَ بَعضُها سَعَتُه كَذا، وبَعضُها سَعَتُه كَذا، كَما ورَدَ في الأخبارِ، فلا تَعارُضَ والحَمدُ للهِ"[(٦)].

٢/ ما جاء أن ما بين المصراعين مسيرة ثلاثة أيام للراكب المجد:

جاء في هذا حديث رواه الترمذي عن خَالد بن أبي بَكرٍ عن سَالمِ بن عبد اللّهِ عن أبيه أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: ((بَابُ أُمَّتِي الَّذي يَدْخُلُونَ منْهُ الجَنَّةَ عَرْضُهُ مَسِيرَةُ الرَّاكِبِ المُجَوِّدِ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَيُضْغَطُونَ عَلَيْهِ حَتَّى تَكَادَ مَنَاكِبُهُمْ تَزُولُ))[(٧)]. والحديث رغم ضعفه إلا أنه لا يخالف ما سبقه

يقول ابن القيم بعد ذكره لهذا الحديث: "وهذا مطابق للحديث المتفق عليه (إن ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى) فإن الراكب المجد غاية الإجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلا ولا نهارا يقطع هذه المسافة في هذا القدر أو قريب منه"[(٨)].

---

(١) قال النووي: "هَجَر: بفتح الهاء والجيم، وهي مدينةٌ عظيمةٌ هي قاعدةُ بلادِ البحرينِ، قال الجوهري في صحاحه: هَجَر اسمُ بَلَدٍ مُذكَّر مَصروف، قال: والنسبة إليه هاجِرِيٌّ، وقال أبو القاسمِ الزَّجَّاجيُّ في الجُمَل: هَجَر يُذَكَّر ويُؤنَّث، قُلتُ: وهَجَر هذه غيرُ هَجَر المذكورة في حديثٍ: إذا بلغ الماءُ قُلَّتين بقِلالِ هَجَرَ، تلك قريةٌ من قرى المدينةِ، كانت القِلالُ تُصنَعُ بها، وهي غيرُ مصروفةٍ". ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٦٩/٣.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) برقم: ١٩٤، ١٨٥/١.

(٣) حِمْيَر، بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وفتح الياء آخر الحروف: هو باليمن، (وبُصْرى) بضم الباءِ، مدينةٌ بالشَّامِ. ينظر: عمدة القاري ٢٨/١٩.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير/ باب "ذرية من حملنا مع نوح") برقم: ٤٤٣٥، ١٧٤٦/٤.

(٥) الإفصاح لابن هبيرة ٤٤/٦.

(٦) التذكرة للقرطبي ١٧٢/٢.

(٧) أخرجه الترمذي (كتاب صفة الجنة/ باب ما جاء في صفة أبواب الجنة) رقم: ٢٥٠٤، ٦٨٤/٤، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب وقال: خالد بن أبي بكر له مناكير عن سالم بن عبد الله، وأخرجه أبو يعلى في مسنده برقم:٥٥٥٤، ٤٠٧/٩ من نفس الطريق، وأخرجه أبو نعيم في صفة الجنة برقم:١٧٩، ٢٥/٢. وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي برقم:٢٥٠٤.

(٨) حادي الأرواح لابن القيم ص ٤٣.

٣/ ما جاء أن ما بين المصراعين مسيرة سبع سنين:

وجاء فيه حديث وهو قَولَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ سَبْعِ سِنِينَ))(١).

٤/ما جاء أن ما بين المصراعين مسيرة أربعين سنة:

ورد في السنة أن مسيرة المصراعين مسيرة أربعين سنة، وقد جاء هذا موقوفا عن عتبة بن غزوان –رضي الله عنه – أنه قال: ((ولَقَدْ ذُكرَ لنا أنَّ ما بين مصرَاعَيْنِ من مَصَاريعِ الْجنَّةِ مَسيرَةُ أَرْبَعينَ سنَةً ولَيَأْتيَنَّ عليها يومٌ وهو كَظيظٌ من الزّحَامِ ...)) (٢).

وورد مرفوعا إلى النبيﷺ؛ فقد رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث دَرَّاج، عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ فِي الْجَنَّةِ كَمَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً))(٣) .

وقد ورد له شاهد عند الطبراني من حديث زُرَيْك بن أبي زُرَيْك، عن معاويةَ بن قرةَ، عن عبد الله بن سلامٍ، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيِ الجَنَّةِ مِقْدَارُ أَرْبَعِينَ عَامًا...))(٤) . وله شاهد أيضا من حديث حَمَّاد بن سلمة؛ قَالَ: وَسَمِعْتُ الْجُرَيْرِيَّ يُحَدِّثُ عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِيهِ معاوية بن حيْدة، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ آخِرُهَا، وَأَكْرَمُهَا عَلَى الله، وَمَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَإِنَّهُ لَكَظِيظٌ))(٥).

ومعنى:(كظيظ) هو:" أن يضيق بكثرة من يدخله ومنه اكتظ السيل بسيله إذا ضاق به، ورجل كظٌّ الذي تكظه الأمور ويعجز عنها...والكظ الامتلاء"(٦).

ولعل مسافة الأربعين خاصة بباب عظيم دون سائر الأبواب يقول ابن القيم بعد سوقه لحديث عتبة بن غزوان رضي الله عنه:" فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذاكر لهم ذلك، كان هذا سعة ما بين باب من أبوابها، ولعله الباب الأعظم"(٧) .

ولعل اختلاف المسافات في سعة أبواب الجنة يرجع بحسب الدرجات يقول ابن القيم: " لَمَّا كانَت الجَنَّاتُ دَرَجات بَعضُها فوقَ بَعضٍ، كانَت أبوابُها كَذَلكَ، وبابُ الجَنَّة العالية فوقَ باب الجَنةِ الَّتي تَحتَها، وكلَّما عَلَت الجَنَّةُ اتَّسَعَت؛ فعاليها أوسَعُ مِمَّا دُونَه، وسَعَةُ البابِ بحَسَبِ

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم: ٧٣٨٨، ٤٠١/١٦، وأخرجه البيهقي في البعث برقم:٦١، ص ٥٥.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقاق بدون تبويب) برقم: ٢٩٦٧، ٢٢٧٨/٤.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم:١١٢٥٧، ٢٩/٣، وأخرجه أبو يعلى في مسنده برقم: ١٢٧٥، ٤٥٩/٢، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٢٧٣/٤: إسناده فيه اضطراب.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم:٦٣٢، ١٨،٢٥٣، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٧٥/٤: والإسناد صحيح لأن كل رجاله ثقات.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ٢٠٠٣٧، ٣/٥، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده برقم: ٤١١، ص ١٥٦، وأخرجه الروياني في مسنده برقم: ٩٣٧، ١٢٠/٢. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/ ٢٧٤.

(٦) غريب الحديث للحربي ١٢١٠/٣.

(٧) حادي الأرواح لابن القيم ص ١١٥.

وُسعِ الجَنَّةِ، ولَعَلَّ هذا وجهُ الاختلافِ الَّذي جاءَ في مَسافةِ ما بينَ مِصراعَيِ البـــابِ؛ فـــإنَّ أبوابَها بَعضُها أعلى مِن بَعضٍ"(١).

المطلب الثالث: شجر الجنة:

الجنة فيها أنواع من النعيم الذي لا يعلمه إلا الله، ومن نعيمها البساتين الغنّاء ففـــي الجنـــة أشجار كَثيرةٌ طيبةٌ مُتَنَوِّعةٌ، ومِن ذَلكَ: أشجارُ العنَبِ والنَّخيلِ والرُّمَّانِ والسِّدرِ والطَّلحِ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝﴾ [النَّبإ: ٣١ - ٣٣] .

قال السدي عند تفسير قوله:(حَدَائِقَ):" وهي البساتينُ الجامعةُ لأصنافِ الأشـــجارِ الزَّاهيـــةِ، في الثِّمارِ الَّتي تَتَفَجَّرُ بينَ خِلالِها الأنهارُ، وخَصَّ الأعنابَ لِـــشَرَفِها وكَثرَتِهـــا فـــي تِلـــكَ الحَدائِقِ"(٢).

قال ابن عباس: "ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء فحقائق تلك أعظم من حقائق هـــذه بما لا يُعرف قدره "(٣).

فأشجار الجنة ليست كأشجار الدنيا فإن أشجارُ الجَنَّةِ دائمةُ العَطاءِ، فهي ليـــسَت كَأشـــجارِ الدُّنيا تُعطي في وقت دُونَ وقت، وفَصلِ دُونَ فصل، بَل هي دائمةُ الإثمارِ والظِّـــلالِ قـــال تعالى: ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ۝﴾ [الرَّعْد: ٣٥] .

وقد جاءت السنة في روايات مختلفة بوصف شجرة من أشجار الجنة في عظمة خلقتها وأن الراكب يسير **في ظلها مسيرة مائة عام** ومن ذلك ما قاله رسول الله ﷺ: ((إنَّ في الجَنَّـــةِ لشَجَرَةً يَسيرُ الرَّاكبُ في ظِلِّهَا مائَةَ عامٍ لا يقْطَعُهَا))(٤) وفي رواية أخرى:((إنَّ في الجَنَّـــةِ لشَجَرَةً يسيرُ الرّاكِبُ الجَوَادَ المُضمَّرَ السّرِيعَ مِائَةَ عامٍ ما يَقطَعُهَا))(٥)

المضمر من الخيل: أن يعلف حتى يسمن ثم يرده إلى القوت وذلك في أربعين ليلة، وهـــذ المدة تسمى: المضمار، وكان للخيل المضمرة على عهد رسول الله ﷺ ســـبعة أميـــال فـــي السبق، وما لم يضمر ميل (٦).

وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق –رضي الله عنها– قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقـــول: ((يقول وَذُكرَ له سدْرَةُ الْمُنْتهَى قال يَسيرُ الرَّاكبُ في ظلِّ الْفنَنِ(٧) منها مائَةَ سنَةٍ أو يَـــسْتَظلُّ

(١) حادي الأرواح لابن القيم ص ٦٢.
(٢) تيسير الكريم المنان، للسعدي ص ٩٠٧.
(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١٥٨/٢.
(٤) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق/ باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة...) برقم:٣٠٧٩، ١١٨٧/٣، وأخرجه مسلم (كتاب صفة الجنة ونعيمها وصفة أهلها/ باب إن في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها) برقم: ٢٨٢٦، ٢١٧٥/٤.
(٥) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق/ باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة...) برقم: ٦١٨٦، ٢٣٩/٥، وأخرجه مسلم (كتاب صفة الجنة ونعيمها وصفة أهلها/ باب إن في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها) برقم: ٢٨٢٨، ٢١٧٦/٤.
(٦) ينظر: عمدة القاري ١٢١/٢٣.
(٧) الفنن هو: الغصن والجمع أفنان. ينظر: جامع الأصول لابن الأثير ٥٠٢/١٠.

بظِلِّهَا مائَةُ رَاكبٍ))[1] وهذا دَليلٌ على طُولِ هذه الشَّجَرةِ، وأنَّ في الجَنةِ أشجارًا عَظيمةً لا يُدرِكُها العَقلُ، ولا يخطر ببال بشر.

وجاء أن هذه الشجرة هي شجرة طوبى ففي الحديث قال رسول ﷺ:((أن رجُلاً قال: يا رسُولَ اللّه طُوبى لِمنْ رآكَ وآمَنَ بكَ، قال: طُوبى لِمنْ رآني وآمَنَ بي ثمَّ طُوبى ثمَّ طُوبى ثمَّ طُوبى لِمن آمنَ بي ولم يرني قال له رجُلٌ: وما طُوبى؟ قال: شجَرَةٌ في الْجنَّةِ مسِيرَةُ مِائةِ عامٍ، ثِيابُ أهْلِ الْجنَّةِ تخْرُجُ من أكْمَامِهَا))[2].

وقال أبو هريرة –رضي الله عنه–: "طوبى شجرة في الجنة يقول الله عز وجل لها تفتقي لعبدي عما شاء فتتفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها وعن الإبل بأزمتها وعما شاء من الكسوة "[3].

المطلب الرابع: ريح الجنة:

يعتقد أهل السنة أن الجنة لها رائحة طيبة كأطيب ما تكون الرائحة، ولا يداني ريحها اليسير من أطيب روائح الدنيا، ولو جمع أطيب ريح على وجه الأرض، لما بلغ شيئا يُذكر من ريح الجنة. وجاء في خبر أنَسٍ –رضي الله عنه– أنَّ عمَّهُ غابَ عن بدْرٍ فقال: ((غبْتُ عن أوَّلِ قتالِ النبي ﷺ لئنْ أشْهَدَني الله مع النبي ﷺ ليَرَيَنَّ الله ما أجِدُّ. فلَقيَ يوم أحُدٍ فهزِمَ الناس فقال: اللهم إني أَعْتَذِرُ إليْكَ ممَّا صنعَ هؤلَاء يعني المسْلمينَ، وأَبرأُ إليْكَ ممَّا جاء به الْمشْرِكُونَ، فتَقَدَّمَ بسيْفِه فلَقيَ سَعدَ بن معَاذ فقال: أَينَ يا سَعدُ إني أَجدُ ريحَ الجَنَّة دونَ أحُد، فمَضَى فَقتِلَ فما عُرِفَ حتى عَرَفَتهُ أخْتُهُ بشَامَةٍ أو ببَنَانه، وبِه بضْعٌ وثَمَانونَ من طَعنَةٍ وضَربَة ورَميَةٍ بسَهْمٍ))[4].

يقول ابن القيم:" وريح الجنة نوعان: ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحيانا لا تدركه العباد، وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان كما يشم روائح الأزهار وغيرها وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله. وهذا الذي وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم وأن يكون من الأول والله أعلم"[5]

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب صفة الجنة/ باب ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة) برقم: ٢٥٤١، ٦٨٠/٤، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم: ٢٩٩٣ز

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ١١٦٩٢، ٧١/٣، وأخرجه أبو يعلى في مسنده برقم: ١٣٧٤، ٥١٩/٢، وأخرجه الآجري في الشريعة ١٠٣٧/٢، وصححه ابن حبان في صحيحه برقم: ٧٤١٣، ١٦/ ٤٢٩، وضعف إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان برقم:٧٤١٣.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ٣٢٨/٤.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي/ باب غزوة أحد) برقم:٣٨٢٢، ١٤٨٧/٤.

(٥) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ١٠٩.

وقد أشهد الله –سبحانه– عباده في هذه الدار آثارا من آثار الجنة وأنموذجا منها من الرائحة الطيبة واللذات المشتهاة والمناظر البهية والفاكهة الحسنة والنعيم والسرور وقرة العين.

وحينما يوضع المؤمن في قبره، وتعاد روحه إلى جسده، ويُسأل عن ربه ونبيه ودينه فيجيب، فإن أول ما يجد من النعيم إذا فتح له باب في قبره إلى الجنة أنه يجد ريحها، كما في الحديث الصحيح: قال رسول ﷺ: ((وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا))[1]، أي: من نعيمها وروائحها.

وقد جاءت النصوص بذكر رائحة الجنة وجاء فيها أن هذا الريح يشم من مسافات بعيدة، وقد جاء في النصوص أنه يُشم من مسيرة أربعين سنة، ورواية من مسيرة سبعين سنة، ورواية من مسيرة مائة سنة، ورواية من مسيرة خمسمائة سنة، وسأذكر فيما يلي الأحاديث الدالة على ذلك:

١/ ما جاء في أن ريح الجنة يشم من مسيرة أربعين سنة:

قال رسول الله ﷺ: ((من قتَلَ مُعاهَدًا لم يرِحْ رائِحَةَ الجَنَّةِ وإنَّ ريحهَا تُوجدُ من مسيرَةِ أَربَعينَ عامًا))[٢] والمعاهد: مَن لَه عَهدٌ منَّا بنَحوِ أمانٍ، وأكثَرُ ما يُطلَقُ في الحَديثِ على أهلِ الذِّمَّةِ، وقَد يُطلَقُ على غيرِهم منَ الكُفَّارِ إذا صُولِحوا على تَركِ الحَربِ[٣]

٢/ ما جاء في أن ريح الجنة يُشم من مسيرة سبعين سنة:

قال رسول الله ﷺ: ((منِ ادّعَى إلى غيْرِ أبيه فلَنْ يرَحْ رائحَةَ الْجنَّةِ وريحُهَا يُوجدُ من مسيرَةِ سبْعينَ عاماً))[٤].

٣/ ما جاء في أن ريح الجنة يُشم من مسيرة مائة سنة:

قال رسول الله ﷺ: ((منِ استرعي رَعيَّةً فلم يُحطْهُمْ بنَصيحَةٍ لم يَجدْ ريحَ الْجنَّةِ وَريحُهَا يُوجدُ من مَسيرَةِ مائَةِ عامٍ))[٥].

٤/ ما جاء في أن ريح الجنة يُشم من مسيرة خمسمائة عام:

قال رسول الله ﷺ: ((من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائِحَةَ الجَنَّةِ وإِنَّ رِيحهَا ليُوجَدُ من مسِيرَةِ خَمسِمِائَةِ عامٍ))[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السنة/ باب المسألة في القبر وعذاب القبر) برقم: ٤٧٥٣، ٢٣٩/٤، وأخرجه أحمد في مسنده برقم: ١٨٥٥٧، ٢٨٧/٤، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم: ٢٦٣٠، ١٠٥/٣. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: ٣٥٥٨.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب / باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم) برقم: ٢٩٩٥، ١١٥٥/٣.

(٣) ينظر: فيض القدير للمناوي ١٩٣/٦.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ٦٨٣٤، ١٩٤/٢ بلفظه، وأخرجه الترمذي (كتاب الديات/ باب ما جاء فيمن يقتل نفسا معاهدة) برقم: ١٤٠٣، ٢٠/٤، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه (كتاب الديات/ باب من قتل معاهدا) برقم: ٢٦٨٧، ٨٩٦/٢. وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم:٢٣٠٧.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ٢٠٣٣٠، ٢٧/٥، وأخرجه البزار في مسنده برقم: ٣٦٤٠، ١٠٢/٩، وأخرجه الروياني في مسنده برقم:١٣٠٢، ٢٣٠/٢. وصحح إسناده محققو مسند أحمد برقم: ٢٠٣١٥.

(٦) أخرجه ابن ماجه بلفظه (كتاب الحدود/ باب من ادعى على غير أبيه أو تولى غير مواليه) برقم: ٢٦١١، ٨٧٠/٣. وأخرجه أحمد في مسنده بلفظ:" من قتل نفسا معاهدة..." برقم: ٢٠٥٢٥، ٥٠/٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: ٥٩٨٨.

قال ابن حجر:" والذي يظهر لي في الجمع أن يقال إن الأربعين أقل زمن يدرك به ريح الجنة من في الموقف، والسبعين فوق ذلك أو ذكرت للمبالغة، والخمسمائة ثم الألف أكثر من ذلك ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأعمال فمن أدركه من المسافة البُعدى أفضل ممن أدركه من المسافة القربى وبين ذلك وقد أشار إلى ذلك شيخنا في شرح الترمذي فقال: الجمع بين هذه الروايات أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص بتفاوت منازلهم ودرجاتهم. ثم رأيت نحوه في كلام بن العربي فقال: ريح الجنة لا يدرك بطبيعة ولا عادة وإنما يدرك بما يخلق الله من إدراكه فتارة يدركه من شاء الله من مسيرة سبعين وتارة من مسيرة خمسمائة"(١).

وهناك ذنوب تمنع أصحابها من رائحة الجنة إما على الدوام، أو ابتداء فيسبقهم الناس إلى ريح الجنة وهم يتأخرون عنه بسبب ذنوبهم. والذين لا يجدون ريح الجنة أبدا هم الكفار والمنافقون، قَالَ النبيﷺ: ((فِي أُمَّتِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدُونَ رِيحَهَا، حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ))(٢) وهؤلاء كانوا في زمنه ﷺ كما دلت عليه روايات أخرى. وإلا فكل كافر وكل منافق نفاقا اعتقاديا فإنه لا يجد ريح الجنة. وأما من تمنعهم ذنوبهم من ريح الجنة فبعض عصاة الموحدين فهؤلاء إما أن يعفو الله عنهم ابتداء، أو يطهروا ومنهم وسأذكر بعض هذه الذنوب التي تمنع شم ريح الجنة مما جاء فيه تقدير ريح الجنة بمسيرة زمان ما:

١/ قتل المعاهدين:

قال رسول الله ﷺ: ((من قتَلَ مُعاهَدًا لم يرِحْ رائِحَةَ الجَنَّةِ وإنَّ رِيحهَا تُوجدُ من مسيرَةِ أَربَعينَ عامًا))(٣).

٢/ من ادعى إلى غير أبيه:

قال رسول اللهﷺ: ((منِ ادّعَى إلى غيْرِ أبيه فلَنْ يرَحْ رائِحَةَ الْجنَّةِ ورِيحُهَا يُوجدُ من مسيرَةِ سبْعِينَ عاماً))(٤).

٣/ الراعي الذي يسترعيه الله رعية ثم يغشها ولا ينصح لها:

قال رسول الله ﷺ: ((منِ استرعي رَعيَّةً فلم يُحطْهُمْ بنَصِيحَةٍ لم يَجدْ ريحَ الْجنَّةِ وَريحُهَا يُوجدُ من مَسيرَةِ مائَةِ عامٍ))(٥).

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٢٦٠/١٢.
(٢) أخرجه مسلم (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم) برقم:٢٧٧٩،٤/٤ / ٢١٤٣.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه.

٤/ النساء الكاسيات العاريات:

قال رسول الله ﷺ: ((وَنسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مميلَاتٌ مَائلَاتٌ رؤوسهن كَأَسْنِمَةِ الْبخْتِ الْمَائلَةِ لا يَدْخلْنَ الجَنَّةَ ولا يَجدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا ليُوجَدُ من مَسيرَةِ كذا وكذا))(١).

وغيرها من الذنوب، نسأل الله أن يجعلنا ممن يشم ريح الجنة ويُنعّم به ولا يحرمنا فضله.

المبحث الثالث: مسائل الاعتقاد المتعلقة بصفة قعر النار، وصفة خلق أهلها مما جاء في النصوص تقدير مسافته بمسيرة زمانٍ ما:

المطلب الأول: قعر النار:

النار دار أعدها الله لمن عصاه وهي دار كلها جحيم وشقاء، لهيبها يلفح الوجوه، وماؤها يقطع الأمعاء، قد ملئت أغلالا وأصفادا، فالأمر شديد جدا، وكان عمر رضي الله عنه يقول:" أكثروا ذكر النار، فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها من حديد"(٢) .

وهي موجودة الآن لا تفنى ولا تبيد، وهي دركات وأشدها عذابا الدرك الأسفل من النار، ويخلّد الله فيها أبد الآباد أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله تعالى. ويدخلها عصاة الموحدين إن شاء الله دخولهم، ولكنهم لا يخلدون فيها، بل يخرجون منها بشفاعة الشافعين، ومنهم من يخرج برحمة الله بعدما يلبثهم فيها ما شاء الله(٣).

وسأقف في هذا المطلب مع عمق قعر نار جهنم كما ثبت في النصوص؛ لنقف مع عظمة خلقة هذه النار، اللهم إنا نسألك أن تجيرنا منها.

١/ ما جاء من النصوص أن قعر النار مسيرة أربعين خريفا:

وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: ((ما من حكَمٍ يَحكمُ بين الناس إلا حبِسَ يوم القيَامَةِ، ومَلَكٌ آخذٌ بِقفَاهُ حتى يقفَهُ على جهَنَّمَ، ثمَّ يَرفَعَ رَأسَهُ إلى اللّهِ –عز وجل– فإِنْ قال: الخطَأ أَلقَاهُ في جهَنَّمَ يهوي أَربَعِينَ خرِيفاً))(٤) .

٢/ ما جاء من النصوص أن قعر النار مسيرة سبعين خريفا أو عاما:

ثبت في الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قال: ((كنا مع رسول اللّهِ ﷺ إذْ سمع وجْبَةً فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تدْرُونَ ما هذا؟ قال: قُلْنا الله ورَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: هذا حجَرٌ رمى بهِ في النّارِ منْذُ سبْعِينَ خرِيفًا فهُوَ يهوى في النّارِ الآنَ حتى انْتَهَى إلى قعْرِهَا))(٥).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) برقم:٢١٢٨، ٢١٩٢/٤.

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب صفة جهنم/ باب ما جاء في صفة قعر جهنم) برقم:٢٥٧٥، ٧٠٢/٤.

(٣) ينظر: كتاب السنة من مسائل حرب الكرماني ص ٥٢.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ٤٠٩٧، ٤٣٠/١، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم: ٢٢٩٦٠، ٥٤٠/٤، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم: ١٠٣١٣، ١٥٩/١٠، في إسناده مجالد بن سعيد وثقه النسائي وضعفه جماعة، وحسن إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ٧٤/٦.

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب في شدة حر جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين) برقم: ٢٨٤٤، ٢١٨٤/٤.

والخريف هو الزمان المعروف من فصول السنة ما بين الصيف والشتاء تُختَرف فيه الثمار، ويريد به سبعين سنة لأَن الخريف لا يكون في السنة إلا مَرَّة واحدة فإذا انقضى سبعون خريفاً فقد مضت سبعون سنة(١).

وجاء عن عتبة بن غزوان موقوفا قوله: ((...قد ذُكرَ لنا أنَّ الْحجَرَ يُلْقى من شفَةِ جهَنَّمَ فيهوى فيها سَبْعينَ عامًا لا يُدْركُ لها قعْرًا ...))(٢).

وممن يهوي في قعر جهنم الكلمة التي لا ترضي الله- تعالى- كما قال رسول الله ﷺ: ((إن الرّجُلَ ليَتَكَلَّمُ بالْكَلِمَةِ لاَ يرَى بها بأْساً يهوي بها سَبْعينَ خَريفاً في النّار))(٣).

قال النووي عند قوله: (لا يهوي بها بالا):"معناه لا يتدبرها ويفكر في قبحها ولا يخاف ما يترتب عليها وهذا كالكلمة عند السلطان وغيره من الولاة وكالكلمة تقذف أو معناه كالكلمة التي يترتب عليها إضرار مسلم ونحو ذلك وهذا كله حث على حفظ اللسان"(٤).

ومما يدل على سعة النار وعظمها كثرة الداخلين إليها على ما هم عليه من ضخامة الجسم وعظم الهيئة، وكذلك قذف الشمس والقمر فيها على ضخامة الشمس وسعة القمر.

وقد ذكر ابن رجب أن من أهل النار من يعذب بالصعود إلى أعلى النار ثم يهوي بها، منهم الوليد بن المغيرة كما قال -تعالى-: ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ ﴾ [المُدَّثِّر: ١٧] قال النبي ﷺ: ((...والصَّعُودُ جبَلٌ من نارٍ يَصعَدُ فيه سَبعِينَ خرِيفاً يهوي بهِ كذَلِكَ فيه أبَداً))(٥).

وممن يكلف صعود جبل في النار والتردي منه، القاتل لنفسه كما قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ ترَدَّى من جبَلٍ فقَتَلَ نفْسَهُ فهُوَ في نارِ جهَنَّمَ يتَرَدَّى فيها خالِداً مُخلَّداً فيها أبَداً...))(٦).

وممن يعذب في النار بالهوي إلى قعرها الخائن للأمانة كما قال رسول الله ﷺ: ((... يؤتى بصاحب الأَمانَة فيقالُ لهُ: أَدِّ أَمانَتَكَ، فيقولُ: أَنَّى يا رَبِّ وقَدَ ذَهَبَت الدنيا؟ فيقالُ لهُ: أَدِّ أَمانَتَكَ، فيقولُ: أَنَّى يا رَبِّ وقَدَ ذَهَبَت الدنيا؟ فيقالُ لهُ: أَدِّ أَمانَتَكَ، فيقولُ: أَنَّى يا رَبِّ وقَدَ ذَهَبَت الدنيا؟ فيقولُ: اذْهَبُوا به إلى أُمِّه الهاوِيَة، فَيُذْهَبُ به إلى الهاوية فَيَهْوِي فيها حتى يَنْتَهيَ إلى قَعْرِها فَيَجِدُها هُناكَ كَهَيْئَتِها، فَيَحْمِلُها فَيَضَعُها على عَاتقِه فَيَصْعَدُ بها إلى شفيرِ جهنمَ حتى إذا رأى أنَّهُ قد خرجَ زلَّتْ فهوَى في أَثَرِها أَبَدَ الآبِدينَ، قال: والأمانَةُ في

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس ١٧١/٢، وينظر: لسان العرب لابن منظور ٦٣/٩،

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق/ بدون تبويب) برقم: ٢٩٦٧، ٢٢٧٨/٤. ورواه أحمد في مسنده مرفوعا برقم: ١٧٦١١، ١٧٤/٤.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده بلفظه برقم: ٧٢١٤، ٢٣٦/٢، وأخرجه الترمذي (كتاب الزهد/ باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس) برقم: ٢٣١٤،٤/٥٥٧ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن/ باب كف اللسان في الفتنة) برقم: ٣٩٧٠، ١٣١٣/٢،

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١١٧/١٨.

(٥) أخرجه الترمذي (كتاب صفة جهنم/ باب ما جاء في صفة قعر جهنم) برقم: ٢٥٧٦، ٧٠٣/٤ وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث ابن لهيعة وقد روي شيءٌ من هذا عن عطِيَّةَ عن أبي سعِيدٍ قوله موْقُوفٌ، وأخرجه أحمد في مسنده برقم:١١٧٣٠، ٧٥/٣، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي برقم:٣٣٢٦.

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الطب/ باب شرب السم والدواء به وبما يُخاف منه والخبيث) برقم: ٥٤٤٢، ٢١٧٩/٥.

الصَّلاةِ والأَمانَةُ في الصَّوْمِ والأَمانَةُ في الحَديث، وأَشَدُّ ذلكَ الوَدَائِعُ، فَلَقِيتُ البَرَاءَ فقُلْتُ: أَلا تَسْمَعُ إِلى ما يقولُ أَخُوكَ عبدُ اللهِ؟ فقال: صَدَقَ))[١]

المطلب الثاني: منكب الكافر وسمك جلده ومقعده في النار:

النار سعتها عظيمة جدا ومما يدل على سعتها وعظمها، كثرة الداخلين إليها على ما هم عليه من ضخامة الجسم وعظم الهيئة، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الموازين تختلف يوم القيامة وتتبدل الصور والأحجام، فإن الله –سبحانه– يضاعف حجم أهلها ويزيده فيعظمون؛ لتمتلئ منهم النار وليذوقوا العذاب، وجاءت نصوص تخبر عن عظمة ضرس الكافر وما بين منكبيه، وسمك جلده ومنها:

١/ ما جاء من النصوص في وصف ما بين منكبي الكافر في النار:

قال رسول اللهﷺ: ((يعظم أهل النار في النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وإن غلظ جلده سبعون ذراعا وإن ضرسه مثل أحد))[٢] .

وقال رسول اللهﷺ: ((ما بين مَنْكِبَيْ[٣] الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ))[٤] .

٢/ ما جاء من النصوص في وصف غلظ جلد الكافر في النار وأنه مسيرة ثلاثة أيام:

قال رسول اللهﷺ: ((ضِرْسُ الْكَافِرِ أو نابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ))[٥].

قال النووي: "وكل هذا مقدور لله تعالى، يجب الإيمان به، لإخبار الصادق المصدوق به"[٦].

٣/ ما جاء من النصوص في أن مقعد الكافر في النار ما بين مكة والمدينة، وكما بين قديد إلى مكة وكما بين المدينة والربذة:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة))[٧].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٤٠/٢٠، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢٠١/٤ مختصرا، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم: ٢٧٠/١٠٥٢٧،١٠، وجوّد إسناده ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤٧٩/٦. قال الألباني في السلسلة الضعيفة ٤٠٧/٩: وإسناد المرفوع ضعيف؛ لسوء حفظ شريك، وهو ابن عبد الله القاضي. وقد أخرجه أبو نعيم من طريق أخرى، عن شريك به موقوفاً على ابن مسعود، وهو الذي رجّحه الحافظ المنذري، فقد ساقه في"الترغيب ٢١/٣-٢٢ عن ابن مسعود موقوفاً عليه، ثم قال":رواه البيهقي موقوفاً، ورواه بمعناه هو وغيره مرفوعاً، والموقوف أشبه. "

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب برقم: ٥٥٩٧، ٢٦٤/٤ وقال: إسناده قريب من الحسن، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم:١٣٢٣.

(٣) المنكِب: مجمع رأس الكتف والعضد. ينظر: الزواجر لابن حجر الهيثمي ٩٩٠/٢.

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) برقم: ٢٨٥٢، ٢١٨٩/٤.

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) برقم: ٢٨٥١، ٢١٨٩/٤.

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم ١٨٦/١٧.

(٧) أخرجه الترمذي (كتاب صفة جهنم/ باب ما جاء في عِظم أهل النار) برقم: ٢٥٧٧، ٧٠٣/٤ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب برقم: ٥٥٩٤، ٢٦٣/٤،

قال رسول اللهﷺ: ((ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار كما بين قديد إلى مكة وكثافة جلده أربعين ذراعا بذراع الجبار [١])) [٢]

وروى أبو هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: ((ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان [٣]، ومقعده من النار ما بيني وبين الربذة"[٤] .

قوله ما بيني وبين الربذة:" يعني كما بين المدينة والربذة، والبيضاء جبل"[٥].

قال ابن حجر: "وكأن اختلاف هذه المقادير محمول على اختلاف تعذيب الكفار في النار "[٦].

وقال ابن الجوزي: " في تعظيم خلق أهل النار خمس فوائد: إحداهن: زيادة عذابهم، لأنه كلما عظم العضو كثر عذابه لاتساع محال الألم. والثانية: لتشويه الخلقة. والثالثة: ليزدحموا، فإن الازدحام نوع عذاب، كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ [إبراهيم: ٤٩] والرابعة: ليستوحش بعضهم من بعضهم، فإن الأشخاص الهائلة المستبشعة عذاب أيضا. والخامسة: أن يكون جميع أجزاء الكافر التي انفصلت منه في الدنيا حال كفره أعيدت إليه لتذوق جميع أجزائه العذاب"[٧].

قال القاضي عياض:" يزاد في مقدار أعضاء الكافر، زيادة في تعذيبه، بسبب زيادة المماسة للنار"[٨]. بل إن جلد الكافر في النار يبدل كلما نضج زيادة في العذاب كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ [النِّسَاء: ٥٦]

فإذا كان ضرس الكافر الواحد فيها كجبل أحد، فما بالك بأضراسه، بل وأسنانه وقواطعه، وإذا كان غلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام، فما بالكم بجوارح الكافر كلها كم ستكون؟ وما بالكم بجميع الكفار والمنافقين أين يكونون وكيف يكونون في هذه النار العظيمة نسأل الله أن يعيذنا منها.

---

(١) الجبار: قال ابن قتيبة الجبار ها هنا الملك قال وأحسبه ملكا من ملوك الأعاجم كان تام الذراع وقال أبو عمر الزاهد: الجبار ها هنا الطويل يقال: نخلة جبارة. ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي ١/١٣٥.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ٨٣٩١، ٢/٣٣٤، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم: ٦١١، ١/٢٧١، وضعف إسناده محققو المسند برقم:٨٤١٠.

(٣) هو: جبل في المدينة. ينظر: التذكرة للقرطبي ٢/٨٨٤.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ٨٣٢٧، ٢/٣٢٨، وأخرجه الحاكم في مستدركه برقم: ٨٧٥٧، ٤/٦٣٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب برقم: ٥٥٩٣،٤/٢٦٣، وضعف إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند ٨/٤٢٠.

(٥) الترغيب والترهيب للمنذري ٤/٢٦٣.

(٦) فتح الباري لابن حجر ١١/٤٢٣.

(٧) كشف المشكل لابن الجوزي ٣/٥٧٥.

(٨) مرقاة المصابيح للقاري ٩/ ٣٦١٦.

وقد يرد استفهام هاهنا حين نورد قوله ﷺ: ((يحْشَرُ الْمتَكَبِّرُونَ يوم الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الناس يعْلُوهُمْ كلٌّ شيء منَ الصّغَارِ...))[1] كيف نجمع بين هذا الحديث وما جاء في النصوص من عظيم خلق الكافر في النار، والجواب على ذلك: أن عِظم خلق الكافر في النار لعظم عذابه ومضاعفة ألمه، وهذا في حق البعض، بدليل حديث:((يحشر المتكبرون ...)) والمعلوم من الكتاب والسنة أن الكفار في النار متفاوتون في العذاب، ولا شك أن عذاب من قتل الأنبياء وفتك بالمسلمين لن يكون مساويا لعذاب من كفر فقط وأحسن المعاملة مع المسلمين، ولم يفسد في الأرض.

وقد جمع بعض العلماء بينه وبين حديث: (ضرس الكافر...) بأن كونهم كالذر في أول الأمر عند الحشر، وهو كالعلامة على حقارتهم، والحديث الآخر محمول على ما بعد الاستقرار في النَّار.

وقيل: إن المراد في حديث:(يحشر المتكبرون...): المراد المتكبرون من المؤمنين، وفي حديث أبي هريرة الكافرون.

وقيل: يتفاوت عذاب أهل النَّار، فمنهم من يكون مثل الذر، ومنهم من يعظم جسمه[2].

ومعرفة المؤمن بأوصاف النار وأهلها المخلدون فيها وعظمة هذا الخلق العظيم يجعل المؤمن يُعظّم الله ويخافه ويحذر عذابه، كما قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزُّمَر: ١٦] فيجتهد في طاعة ربه رجاء أن يكون من أهل الجنة وأن ينجو من عذاب النار. فيحل حلاله ويحرم حرامه وينقاد لأمر ربه تعالى.

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم:٦٦٧٧، ١٧٩/٢، وأخرجه الترمذي (كتاب القيامة والرقائق والورع) برقم: ٢٤٩٢،٤/٦٥٥، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم: ٥٥٧، ص١٧٦، وقال ابن حجر في فتح الباري ١١/٤٣١: إسناده جيد.

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر١١/ ٤٢٣-٤٢٤، والكوكب الوهاج للهرري ٢٥/٥٣٦.

الخاتمـــــة:

ختاما أحمد الله الذي تفضل عليّ بإتمام هذا البحث وأسأله -تعــالى- أن يجعلــه خالــصا لوجهه الكريم، نافعا لكل من قرأه. ولا يفوتني أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها وأهــم التوصيات.

أهم النتائج:

أولا/ أن النصوص تفاوتت في ذكر المسافات في سعة خلق الله للسماوات والجنــة والنــار وغيرها من المخلوقات وسأذكر ما يتعلق بنتائج كل منها:

١/ عظمة خلق السماوات وما جاء في الروايات في المسافة بين الــسماء والــسماء التــي تليها بأنه مقدار خمسمائة سنة وفي الرواية الأخرى أنها نيف وسبيعين سنة فــالجمع بينهــا بأن ما قدّره النبي ﷺ بالسبعين أراد به السير السريع سير البريد، وحيث قدر بالخمــسمائة أراد به السير الذي يعرفونه من سير الإبل والركاب المحملة فكل منهمــا يــصدق الآخــر ويشهد بصحته.

٢/ عظمة أبواب السماء حتى جاء في النصوص وصف باب من أبوابها وهو باب التوبــة بأن مسيرة عرضه سبعون عاما.

٣/ ما جاء في ذكر حملة العرش والمسافة بين أذن أحدهم إلى منكبه مسيرة سبعمائة عــام وفي رواية سبعين عاما، وأن المراد بالسبعمائة عام هنا التكثيــر لا التحديــد؛ لأنــه أليــق بالكلام وأدعى للمقام.

٤/ ما جاء في طول الحوض وعرضه أنها مسيرة شهر، وفي بعض الروايات جاء محــددا بما بين مدينة وأخرى، وهذا الاختلاف في هذه الروايات في قدر الحــوض لــيس موجبــا للاضطراب؛ لأنها المسافات متقاربة وكلها ترجع إلى نحو نصف شهر أو تزيد على ذلــك قليلا أو تنقص. ولعل ذكره عليه الصلاة والسلام للجهات المختلفة بحسب من حضره ممــن يعرف تلك الجهة فيخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها.

٥/ عظمة أبواب الجنة حتى جاءت النصوص المختلفة في سعة أبواب الجنة، فقد ثبت بــأن ما بين المصراعين من أبواب الجنة كما بين مدينة وأخرى، وجاء بأنه مسيرة ثلاثــة أيــام للراكب المجد، وفي لفظ أن ما بين المصراعين مسيرة سبع سنين وفي لفظ مسيرة أربعــين سنة. ولعل اختلاف المسافات في سعة أبواب الجنة يرجع بحسب الدرجات في الجنة فــإن بابُ الجَنَّة العاليةِ فوقَ بابِ الجَنة الَّتي تَحتَها، وكُلَّما عَلَتِ الجَنَّةُ اتَّسَعَت؛ فعاليها أوسَعُ مِمَّــا دُونَه، وسَعَةُ البابِ بحَسَبِ وُسعِ الجَنَّةِ.

٦/ عظمة شجر الجنة فقد جاءت النصوص في وصف شجرة من أشــجار الجنــة يــسير الراكب في ظلها مسيرة مائة عام.

٧/ قوة رائحة الجنة حتى جاءت النصوص بتقدير شم هذه الريح من مسيرة أربعين سنة، وجاء أنه يُشم من مسيرة سبعين سنة، ومن مسيرة مائة سنة ومن مسيرة خمسين سنة.

٨/ عظم خِلقة النار حتى أن قعرها لو هوى الحجر من أعلاها جاء في النصوص أنه لن يبلغ قعرها إلا بعد أربعين سنة وفي روايات بعد سبعين سنه وهذا يدل على سعة خلقها وأن من جملة العذاب فيها الصعود إلى أعلاها ثم الهوي إلى قعرها نعوذ بالله من النار.

٩/ عظم خلق أهل النار حتى جاءت النصوص عند ذكر منكب الكافر أن ما بين شحمة أذنه ومنكبه مسيرة سبعمائة عام وفي لفظ مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع. وأما سمك جلد الكافر فثبت في النصوص أنه مسيرة ثلاثة أيام، ومقعد الكافر في النار كما بين مكة والمدينة وفي لفظ كما بين قديد ومكة، وفي لفظ كما بين المدينة والربذة.

ولعل اختلاف هذه المقادير والعلم عند الله محمول على اختلاف تعذيب الكفار في النار. أو أن هذه المسافات المذكورة في الأحاديث لا يُقصد منها التحديد وإنما المراد منها التقريب، فالمسافة قد تكون أكثر والله أعلم.

ثانيا/ أن السماوات أجرام لها سمك وليست كما يظن البعض من الناس أنها سحاب كالهواء، بل وسمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام كما ثبت هذا في الحديث.

ثالثا/ ظهور عظمة الله –تعالى– فمع كمال علوه ومباينته لخلقه ومع هذه المسافات العظيمة بين كل سماء وسماء إلا أنه –تعالى– لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده.

رابعا/ علم العبد بخلق الجنة والنار وأوصافهما مما جاء في النصوص مقدرا بمسيرة زمان ما، يدل على عظمة هذه المخلوقات وأعظم من ذلك عظمة خالقها جل جلاله. وأن المؤمن متعبَد ربه برجاء طلب هذه الجنة العظيمة الخلق، ومتعّبد بالخوف من النار وما فيها من العذاب العظيم.

أهم التوصيات:

١/ بيان هذه الحقائق العظيمة للناس ليعرفوا عظمة الله وكمال قدرته.

٢/ غرس عظمة الله في قلوب الناس بتعليمهم هذه الأحاديث الدالة على عظمته –تعالى– وكمال علمه وعلوه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

- الأسماء والصفات: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، دار النشر: مكتبة السوادي للتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.
- البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، دار النشر: مكتبة العلوم والحكم – بيروت، المدينة، الناشر: مؤسسة علوم القرآن الطبعة: الأولى: ١٤٠٩ه.
- البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف – بيروت.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين النشر: دار الهداية.
- التبيان في أقسام القرآن: أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، النشر: دار الفكر – بيروت.
- التحفة العراقية في الأعمال القلبية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار النشر: المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثانية – ١٣٩٩ ه.
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الجزرجي الأندلسي ثم القرطبي، دار النشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ه.
- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار النشر: دار الفكر – بيروت – لبنان، ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م.
- تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، دار النشر: المكتبة العصرية – صيدا.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، دار النشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٣٨٧ه.
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ، الطبعة: الأولى:٢٠٠١م.
- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية – الرياض الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي: أبو عيسى، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الجامع الفريد في شرح كتاب التوحيد لمجموعة من العلماء، دار النشر: دار ابن حزم، القاهرة، الطبعة: الأولى. ١٤٢٩ه–٢٠٠٨م.

- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب – القاهرة.
- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت
- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود: أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.
- الرد على الجهمية: عثمان بن سعيد الدارمي أبو سعيد، النشر: دار ابن الأثير، الطبعة: الثانية – الكويت: – ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
- زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- السنة: عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، الطبعة: الأولى، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٠هـ.
- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، الناشر: دار الفكر – بيروت.
- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الناشر: دار الفكر – بيروت.
- سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.
- شرح صحيح البخاري: أبو الحسن، علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية– الرياض الطبعة: الثانية، سنة: ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- صحيح مسلم بشرح النووي: أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية: سنة: ١٣٩٢هـ.
- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار النشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض، الطبعة: الأولى: ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- غريب الحديث: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، دار النشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.
- غريب الحديث: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين: أبو الفرج، عبد الرحمن ابن الجوزي، دار النشر: دار الوطن – الرياض، ١٤١٨ه – ١٩٩٧م.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى.
- متن العقيدة الطحاوية: أبو جعفر الطحاوي، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
- المجتبى من السنن: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ١٤٠٦ه– ١٩٨٦م.
- المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
- مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ه – ١٩٨٤م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة – مصر.
- مسند الروياني: محمد بن هارون الروياني أبو بكر، دار النشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة – ١٤١٦، الطبعة: الأولى.
- المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة – ١٤١٥ه.
- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر: مكتبة الزهراء – الموصل، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ه– ١٩٨٣م.
- مقاييس اللغة: أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، دار النشر: دار الجيل – بيروت – لبنان: الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
- منهاج السنة النبوية: أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار النشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ ه.